سلطة المكان في شعر " عمر بن بلحمد هيبة"
ديوان قلب وحجر أنموذجا

أ.عمر باحماني
جامعة غرداية (الجزائر)

ملخص:

حاولت في بحثي هذا أن أبين السلطة التي يشغلها المكان في أشعار "عمر هيبة"، فعمدتُ إلى تتبع مصطلح "المكان"، حيث عرف المصطلح اتساعا وتشعبا لدى الدارسين خلال اشتغالهم عليه، وربما كان الاختلاف والتعدد أمرا طبيعيا نتيجة لانفتاح الدراسات النقدية واستفادتها من العلوم الإنسانية خاصة الفلسفة وعلم النفس والاجتماع، فظهرت إلى السطح مصطلحات: الحيز، الفضاء، المحيط، الفراغ، البيئة...إلخ.

والاختلاف كان طفيفا بين الدارسين في تحديد الفوارق بين كل مصطلح وآخر، لكنهم في الأخير يصرحون بصوت واحد إن المكان مشتق من الكينونة والوجود الإنساني، وبذلك يتجاوز معناه التقليدي المقتصر على مجرد مكان جغرافي.

وبما أنَّ الديوان الشعري "قلب وحجر" للشاعر "عمر هيبة" يشكل محور الدراسة، فقد حاولت جاهدا أن أتتبع سلطة المكان في إبداعه الفني، ذلك أن اختيارنا له لم يكن اعتباطيا، وإنما لسبب جوهري وهو الحضور القوي لعنصر المكان، ففي نتاجه الشعري نبرة عميقة، كمتلقٍّ تجعلك تقف وقفة فضول وتساؤل، وتخلق في نفسك أكثر من دافع لأن تخوض في تفاصيلها وجزئياتها.

إذا فالمكان يمثل عنصرا رئيسيا في بناء القصيدة لدى الشاعر "عمر هيبة"، لذلك فقد ارتبط بمصيره ووجوده، إذ لا وجود له خارج المكان، ولا مكان له خارج وجوده. وهو ما يتجلى بصورة واضحة في الحضور القوي لسلطة المكان مصطبغة برمزية "النحن"، فمن خلاله تُستعاد ذاكرة المكان وتأخذ الفضاءات كينونتها عبر إعادة إنتاجها من خلال اللغة الشعرية. وبهذا التصور يتحول النص إلى مكان تمارس فيه ذات الشاعر وجودها.

الكلمات الدالة: (المكان، الصحراء، سلطة، عمر هيبة، الشعر،...)

Abstract

I tried in my research to show the power that the place occupied in the poems of “Omar Hiba”, so I traced the term the place where was broad by scholars while studying it, and difference and diversity may be natural as a result of the opening up of critical studies and its benefit from the Human Sciences especially philosophy, psychology and sociology, thus some terms emerged such as: the space, the air, the leisure, the vacuum, the milieu... etc.

There was a slight difference among scholars in determining the differences between terms, but they state that the place is derived from the existence and the human being, and by this it goes beyond its traditional meaning which was confined to a mere geographic location.

As far as Omar Hiba’s Collection "Kalb wa Hajar" is our concern, I did my best to trace the power of the place in his Innovative style, so our choice wasn’t at random, but for a fundamental reason that the strong presence of the element of the place; there is a deep tone in his Collection that arises the reader’s curiosity wonder, and motivates him to go deep in its details.

So to Omar Hiba, the place is an essential element in setting the poem, that’s why it is linked to his fate and existence, he has no existence outside of the place, and it has no place outside of his presence; that is reflected clearly in the strong presence of the power of the place is imbued with symbolism of "We”, through it the memory of the place retrieve and by reproducing it through poetic language. With such imagination, the text becomes a space where the poet’s soul exercises its existence.

لقد حظي المكان بدراسة الباحثين والنقاد، باعتباره ركيزة مهمة في بناء الشعر وتكوينه... كما أن العلاقة بين الإنسان والمكان علاقة جدلية، قديمة راسخة فيه... فالمكان مستودع لذكريات الشاعر، لطفولته، لعنفوان شبابه... لمغامراته، لحبه، لازدرائه، لآلامه وأحزانه، لأفراحه وضحكاته... لذلك لا يمكن أن نتصور بأي حال من الأحوال نتاجا شعريا منعزلا عن حيز مكاني.

وبما أنَّ الديوان الشعري "قلب وحجر" للشاعر "عمر هيبة" يشكل محور الدراسة، فقد حاولت جاهدا أن أتتبع سلطة المكان في إبداعه الفني، ذلك أن اختيارنا له لم يكن اعتباطيا، وإنما لسبب جوهري وهو الحضور القوي لعنصر المكان، ففي نتاجه الشعري نبرة عميقة، كمتلقٍّ تجعلك تقف وقفة فضول وتساؤل، وتخلق في نفسك أكثر من دافع لأن تخوض في تفاصيلها وجزئياتها.

عن سر ذلك الحضور القوي للمكان الذي يلف شعره؟ وعمَّا إذا كان ذلك المكان كدافع للكتابة الشعرية لديه؟ أو هو مجرد نتاج –تحصيل حاصل- يتجلى في أشعاره فحسب؟

هل الأمر يتعلق بالشاعر نفسه؟ أم هو المجتمع الذي ينتمي إليه؟

هل لسلطة المكان بعدا جغرافيا بحتا في أشعاره أم أن الشاعر تعداها إلى توظيف شعري جمالي؟

هل المكان في أشعاره يحمل دلالات خطية واحدة؟ أم يحمل دلالات جمالية تتفاعل مع بنية النص الشعرية؟

فالمسألة تتطلب منا نظرة ثاقبة، ودراسة نفسية دلالية فنية، حتى نميط اللثام عن الإشكالات المطروحة، وحتى تتضح لنا رؤية الشاعر للحياة والوجود..

1 عن ماهية المكان:

يعتبر مصطلح "المكان" من المصطلحات التي نالت الكثير من المساءلة في حقل النقد والدراسات الأدبية، إذ وردت هنالك عدة مصطلحات تداولتها الكتب والمراجع تقارب أو تحل محل "المكان".. لذلك ارتأينا أن نتعرض لها باختصار لتفادي اللبس والغموض.

فكلمة "مكان" مشتقة "من الجذر اللغوي –م ك ن- بمعنى امتلاك الشيء والتمكن منه"[1]، أما في معجم اللغة والأعلام فـ "المكان هو جمع أمكنة وأمكُن، وجمع أماكن، وهو المفعِل من الكون.."[2]

وربما صح اعتبار ما قدمه أرسطو في تعريفه للمكان أقدم التعاريف في ذلك، بحيث ميزه بأنه الحاوي الأول، وأنه ليس جزء من الشيء، كما أنه مساوٍ للشيء المحوي..[3] ، وتتلخص نظرة "أرسطو" للمكان على أنه "يمكن إثبات وجوده من ملاحظة شغلنا لمكان معين، وانتقالنا من مكان لآخر"[4].

أما المعجم الفلسفي فيرى أن المكان هو الموضع وهو المحل (le lieu) المحدد الذي يشغله الجسم[5]، أما "هوفدينغ" فقد ميز بين "المكان النفسي وبين المكان المثالي، فقال إن المكان النفسي هو الذي ندركه بحواسنا، وهو مكان نسبي لا ينفصل عن الجسم المتمكن، على حين أن المكان المثالي الذي ندركه بعقولنا مكان رياضي مجرد ومطلق"[6]، أما "غاستون باشلار" (1884-1962) فيعتبر المكان "هو البيت، هو كل شيء، إذ يعجز الزمن عن تسريع الذاكرة،.. هو مكان الألفة.."[7]

أما الرؤى النقدية الحديثة فلم تختلف كثيرا عن سابقاتها التي عالجته عن طريق مفهومي الاحتواء والأبعاد الثلاثة، لكن من جهة أخرى فقد اصطبغ هذا التعريف بصبغة العلوم الفلسفية المتفرعة، خاصة ما تعلق منها بـ "علم الاجتماع"، ذلك أن المكان من أشد العناصر ارتباطا بالنشاط الإنساني الجمعي، إذ لا يمكن تصور مكان منعزل عن ثقافات الإنسان ونشاطه الفكري وتجاربه..[8] ، إذن فإدراك المكان إنما هو مقيد بتصورات المجتمع له، لأن إدراك المكان عادة لا يتم تحت الوعي العقلي المباشر، بل هناك تصورات مجتمعية تلعب دور الوسيط لفهم الحقيقة الكلية للعالم الخارجي[9]

وقد يرد مصطلح "المكان" باسم "الحيز"، حيث يرى "قادة عقاق" أن "المكان هو الحيز الذي يحتوي أشياء، إذ تتراتب هذه الأحياز لتشكل علاقة الإنسان بالمكان"[10].

ومع تطور العلوم الإنسانية وتشابكها مع العلوم النقدية ظهر للسطح مصطلح "الفضاء". حيث يرى "هنري لوفيفر" بأنه لا يوجد في أي مكان، إذ من الممكن القول إنه مطاطي لا مكان له، ذلك لأنه يجمع كل الأمكنة ويحتويها، وفي الأخير هو لا يملك إلا وجودا رمزيا[11]. فالإنسان في أغلب حالاته حينما يتحدث عن الفضاء إنما هو ينقل تجربة شخصية حافلة بالثقافة والفكر وما يليها.

ومما سبق يتبين لنا أن المكان يتقاطع بشكل جذري مع كل من الحيز والفضاء، وهو كمعادل لها –إن صح القول-، ليتشكل في الأخير وفق محاور ثلاثة: المحور الجغرافي، المحور النفسي، المحور الوجودي، وكلها تفضي لاتصال عميق بالمكان بشكل أو بآخر.

2 المكان والإحساس بالانتماء:

ربما شكَّل المكان أكثر الأمور التي تشعرنا بالانتماء، لذلك نلاحظ أن الشعراء هم أكثر من تناولوه بتفاصيله وأحلامه وتلابيبه...[12] ولا يخرج عن هذا الإطار الشاعر "عمر هيبة"، فكل قصيدة من قصائد ديوانه تحيلك كقارئ إلى مكان مَّا، تشعرك بالانتماء، وبقداسة العلاقة التي نشأت ولازالت بين الشاعر والمكان.

وقبل الولوج في حقول النص الشعرية نقول: إن عنوان الديوان هو أول عتبة يمكننا الوقوف عليها، فكلمة القلب تحيلنا إلى المشاعر النفسية والاضطرابات الداخلية وإلى الغربة، والحجر يشير إلى الأرض، إلى المكان باعتباره البيت والأم والأمان..، ولم يكن ربط القلب بالحجر أمرا تلقائيا أو اعتباطيا، بل هناك دلالة قوية توحي أن بين العنصرين علاقة تبادلية جدلية متينة، وهو ما سنتعمق فيه أكثر بين ثنايا هذا البحث إن شاء الله.

فقد لعب المكان دورا بارزا في إبراز الأشكال الفنية والدلالات الشعرية التي ارتبطت بدورها بقداسة الأرض، تلك الأرض المثقلة بقيم الانتماء.. ببيوتها ومدارسها ومساجدها وواحاتها...

فالشاعر "عمر هيبة" من خلال لغته الشعرية مرتبط أشد ما يكون الارتباط بأرضه، ومندمج بمكوناتها، "فاللغة هي المادة الخام التي يتشكل منها الخطاب بما يحويه من مكونات فنية، تتحد لتشكل بعدا دلاليا معينا"[13]، وربما كان لهذا تأثير بالوسط الذي نشأ فيه، حيث انفرد بخاصية تتمثل في التعبير الجمعي النابع من قلب الأمة والملتحم مع روح الغير[14]، فالمكان عنده ليس مجرد مسكن يأوي إليه، أو أرض يزرعها، أو مسجد يعتكف فيه.. إنما الأمر يتعدى ذلك إلى حد الاندماج والإحساس بكينونته ووجوده منه وإليه...

من هنا أمكننا القول إن الشاعر يتناول المكان كركيزة لتمظهرات الانتماء المجتمعي من زاويتين: القيم الإيجابية والقيم السلبية.

أ- القيم الإيجابية:

من خلال تتبعنا لقصائد الديوان نلاحظ أن الشاعر قد أولى اهتماما أكبر للقيم الإيجابية، فنجده يتعامل مع المكان باعتباره مقطونا، ذلك أن المكان لا يبني قيمته ولا يكتسبها إلا من خلال ساكنيه، فالعلاقة هنا بين المكان والمجتمع علاقة تعدي ومبادلة، فكل واحد منهما يمثل وجهة عن الآخر.

والملاحظ في قصائده أنه يركز كثيرا على ذكر المكان بطابعه الأولي، أي بحالته البكر قبل أن تمتد إليها يد التغيير، يد الإنسان لتعدله وتحوله إلى مكان صالح للعيش. يقول في قصيدة "قمم وقيم":

هــذه التُّـــربةُ كانَتْ ملْمَـسًـا لِجبِـين رَاكِـعٍ مُبتَهِلِ
هــذهِ الصَّخرةُ كانَتْ مَرْبَضًا ومَـقَـرًّا لِأبِيٍّ بَطَلِ
لَـيْسَ فِي الرَّبعِ سِوى شمسِ الضُّحَى والفَـيَـافِـي وفؤادِ الرَّجلِ
وَصَـخُورٍ ورِمَالٍ حَوْلَهَا تُنذِرُ الدُّنيا بِـخطبٍ جَلَلِ[15]

إن في الأبيات الأربعة أعلاه تراكيب مفتاحية، تتراءى للقارئ وهي تشع بشكل يختلف عن التراكيب الأخـرى، إنها مستقاة من المكان الذي يقطنه.

فالشاعر اتخذ من: الصخرة، التربة، الربع، شمس الضحى، الفيافي، صخور، رمال... أيقونات تحيـل مباشـرة إلى المعاناة والألم...، إنه يريد أن يقول بكل ما أوتي من قوة: إن قريته قامت بفعل سواعد الرجـال، بفعـل التضـحية والمكافحة، رغم المعاناة ورغم قساوة الظروف إلا أن القدر كتب لها الوجود.

وهنا نطرح الإشكال إن كان المكان لا يأخذ حجمه إلا باقترانه بالألم؟ أليس الألم عامل معاكس؟ ما الذي تمنحـه المعاناة للمكان ليكتسب كل هذه السلطة، التي تُـمَارَس بدورها على الشاعر؟

لقد ترعرع الشاعر "عمر هيبة" في بلدة بنورة الصحراوية، وهو من مواليد السابع والعشرين أفريل مـن سـنة 1945م، ولو تتبعنا تاريخ المنطقة أيام طفولته ونشأته بها، لوجدنا أن الأمور لم تكن بالسيئة، فقد كانت تسـير بـوتيرة عادية إن لم نقل حسنة. إذن فما الذي صنع كل هذا البؤس في شعره؟ ما الذي يجعله يستشعر معاناة المكان-الوطن؟

يقول الشاعر في قصيدة "التلم":

هَاهُنَا مَجْدِي ونبْضِي ودَمِي هَاهُنَا أَحْيَا وَأَفْنَـى مُكْرَمَـا
اِسألُوا الوَادِي فِـي أطوارِه تَـجِدُوا الرَّبْعَ مِهَادَ العُظَـمَـا
نَحَتُوا الصَّخْرَ وأجْـرَوْا مَاءَهُ مَلأُوا الوَادِي اِخْضِرَارًا وَنَـمَا[16]

لا شك أن المكان-الوطن هو المنطلق الأول للشاعر "عمر هيبة"، فالتأثيرات المكانية ترتسم في شـعره، سـواء كانت ماضية أو حاضرة، ذلك أن الإنسان يعايش هموم المكان، ويستوعب آلام أمته وآمالها.

إن الشاعر يحيا في مكان يتأثر فيه بسلطة النداء الجمعي، إنه لا يدرك ذاته إلا ضمن سياق جماعة، إنه الـولاء للمجتمع الذي ولد وترعرع فيه، للمجتمع الذي تشرب تاريخه بآلامه وخطوبه وأفراحه ومسراته...

لذلك يرد المكان في معظم شعره ضمن خلفية جماعية، تتكئ على معاناة الأجداد لتحقيق البقاء، وفي هذا لا ينحو الشاعر منحًى بكائيا انهزاميا، بل لشحن همم الشباب بطاقة مستقبلية تحسسه أكثر بقيمة الأرض-المكان الذي ورثه.

ب- القيم السلبية:

لم يكتفِ الشاعر بمدح المكان وإعلان الولاء له، بل يلجأ في الكثير من قصائده أيضا إلى ذم المكان لسوء أخلاق أهله، لاختلافاتهم وطيشهم، فها هو يقول في قصيدة "وا إسلاماه":

يَا لعنَةَ الأقدَارِ هلْ يـؤُمُّ جمعَنَا مُقنَّعٌ بالطُّهرِ والمَحَاسِنِ
وَيستحِيلُ الرَّبْـعُ كالغَابِ الذِي تَرْتَادُهُ الوُحُوشُ والدَّوَاجِنِ[17]

فالمكان-الوطن لم يعد يغري الشاعر بالبقاء، لم يعد يثير فيه التقدير والإلهام، إنه مصدر للرذيلة والعار، مصدر للبشاعة وعدم الأمان..، إنه كالغاب الموحش الذي يستأثر فيه القوي بالضعيف.. لذلك نراه يبحث عـن مـأوى يمنحـه جرعة أمل في الحياة، ليمنحه ذاك الذي لم يجده في موطنه، فيقول:

ويَعْجزُ الإسلاَمُ عنْ إيوائِنَا وَجُلُّ مَا فِي دِينِنَا ظَوَاهِـر
أَبْحَثُ عنْ هَوِيَّةٍ تَحْضِنُنِي بَيـنَ رَعَايَا الرُّومِ والبرَابِر[18]

ويبلغ الشاعر أقصى درجات اليأس، إنه يرى في وطنه غير ما كان يأمل، إنه يشهد انهياره أمام عينيه، وربما هنا كانت المفارقة، لماذا كل هذا التعلق بالوطن-الأرض مادام هنالك ما يفقده بريقه؟ ما الذي يكسب المكان كل هذه السلطة والحضور في نصوصه؟

فالظاهر أن "هوية الشاعر تتجدد وتبرز كلما استطاع تنظيم فوضى هذا العالم وتدجين الغرابة"[19]، ويؤكد الشاعر هذا المنحى في قصيدة أخرى، بعنوان "وقفة في شارع الوحدة"، فيقول:

لستَ يا شارعُ مِن أرضِي وَلاَ مِنْ قَدَرٍ أنْجزَ وَعْدَه
أنتَ كالنَّهرِ الذي غارَ وكَالغُصنِ الذِي أسقَطَ وَرْدَه
أنتَ كالنَّجمِ الذي تَاهَ فَتَاهَ الرَّكْبُ بَعْدَه
أنتَ كاللَّيلِ الذي طَالَ وكَالسَّهْمِ الذِي أَخْطَأَ قَصْدَه[20]

إن الشارع الذي سُمي باسم الوحدة لم يكن ليلبي طموحات الناس، ولا طموحات الشاعر بالدرجة الأولى، فبدل أن يكون اسما على مسمى أضحى موطنا للتفرق والاختلاف والانهيار...، هذا ما خلق في نفسية الشاعر إحساسا حادا بالألم، فمثَّل الأرض-الوطن بأيقونة رمزية تتمثل في شارع الوحدة، إنه يرمز للجزء ويريد الكل. فالمكان آهل بالسكان، والشاعر هنا لا يريد تدنيس المكان بقدر ما يريد تدنيس السلوك، فهو لا يقصد المكان بذاته، لكن لشدة قربهم والتصاقهم به اختصرهم في ذلك المكان.

2- الماضي كَمُوَطِّدٍ لسلطة المكان:

حينما نتتبع لغة الشاعر "عمر هيبة" فإننا نجد للمكان حضورا طاغيا فيه، والمكان عنده عادة ما يكون مقرونا بلغة الماضي والذكريات. إذن فاللغة تعتبر الأداة بيد الشاعر يتصرف فيها كيف يشاء، وينقل لنا بواسطتها انفعالاته وآلامه وهواجسه، فيجعلها تنبض بالحركية والحياة، تماما مثل الحجر[21] حينما نصنع جماله ونتجاوب معه رغم أنه أصم جامد. فها هو يقول في إحدى قصائده:

كَانَتْ دِيَارَ رَوْعَةٍ دِيارُنا وموطنَ الجَلاَل
كَانَتْ صُرُوحَ عِزَّةٍ رُبُوعُنا ومَنْشَأَ الرِّجَال[22]

إن الوطن- المكان يمارس سلطته على الشاعر، إنه يراه يتمثل في صور ذهنية في زمن الماضي، لذلك استفتح البيتين بالفعلين الماضيين "كانت"، واللاَّمقول عنده من خلال البيتين يتلخَّص في انعدام ما كان مأمولا في الواقع، وهذا ما نجده متكررا في الكثير من أشعاره، ذلك أنه "كلما ترددت بعض الكلمات بنفسها أو بمفرداتها أو بتركيب يؤدي معناها كوَّنت حقلا أو حقولا دلالية"[23].

فالشاعر لا يكف عن استحضار المكان مقرونا بشريط الذكريات، غارقا في لغة الـ كان وكانت وكل ما له علاقة بالزمن الماضي، "فهو يلجأ إلى الاستعانة بالتراث[الذكريات والماضي] وإحداث ما يسمى بالتحويل الرمزي، فيعبر عن تجربته الشخصية موظفا في ذلك كل ما يستطيع الاستعانة به من عناصر التراث البشري، يثري به فكره ورؤيته الأدبية"[24]، فها هو يقول:

في رَبْعِنَا الـمَيْمُونِ كُنَّا نَنْتَشِي، نتبادَلُ الصَّلَوَاتِ والرَّحَمَاتْ
نتسَابقُ الأفرَاحَ نَنْعَمُ بالهَنَا، ونُصدِّرُ الضَّحكاتِ والبسماتْ[25]

إذن فالمكان لدى "عمر هيبة" تبنيه الذاكرة بما تختزنه من صور وإحالات للماضي، وبذلك يصطبغ المكان ببعد زماني مزدوج: الزمان الجميل المأمول والزمن الواقع التعيس[26]، وبين ذاك وذاك يُصنع جسر عريض يُوصِل الحاضر بالماضي لإشباع لذة التخييل.

فالتحرك في زوايا الماضي إنما جاء من خلال إصرار الشاعر على الاحتفاظ بالصور الكلية من جهة، والصور التفصيلية من جهة أخرى للمكان الذي يأويه، إنه كما في كل قصيدة يقيم علاقة وطيدة بين الأنا الشاعرة وبين الأرض-الوطن، إنه لا يقوى على تصور كينونته الوجودية دون أرض تحتضنه، إنه يعتبر المكان كمهاد، كوعاء يحتويه، والمكان عنده يساوي الذكرى والماضي، فالعلاقة هنا لا تخرج عن هذا الإطار، والاتكاء على الذكرى يتطلب من الشاعر استحضارا للزمان.

فالشاعر "عمر هيبة" تربطه علاقة متوترة بالمكان، إنه يريد استحضار الماضي المتأثث في مكان مَّا ضمن ذاكرته التاريخية، ذلك أن إحساسه بالمكان إنما يتكوَّن وفق الأفكار الذهنية والإيديولوجية المترسبة لديه، فغياب المكان المأمول إنما هو -بالضرورة- حضور للتأزم وفقدان للذات، إذ "إن فاعلية الوعي بالمكان جزء من فاعلية الوعي بالمواطنة"[27] وتحقيق التوافق والاندماج.

فالمكان في قالب الماضي هو المسيطر الأول على لغة الشاعر "عمر هيبة"، "فالمكان المرتبط [بالماضي] هو المكان الذي تصنعه الذاكرة وتمنحه دلالة مكانية وجغرافية"[28] بنكهة آنية. يقول الشاعر في قصيدة "عهود وجهود":

منذُ البِدايةِ والإنسَانُ في بَلدِي يَشْقَى ويَعمَلُ في جُهدٍ وفي كبَدِ

يُراهِنُ الصَّيفَ والصَّحراءَ حرَّهُما وجُـــودُهُ، مُستقيمَ الفكرِ والجسدِ

لم يَألُ جُهدًا علَى جَذْبٍ ومَخمصَةٍ وقِلَّةِ الزَّادِ وَالبَلْوَى وفقْرَ يَدِ[29]

فالصور رغم قدمها إلا أنها تظل محفورة في ذهن الشاعر يتعايش معها ويستحضرها في كل وقت، إنه يحاول أن يوقظ المكان من غفوته الأبدية بواسطة اللغة الشعرية والتخييل الممارس عليه[30]. فصورة الوطن-المكان التي عبر عنها الشاعر بقوله **(بلدي)** هي التي تتخفى بوجه سري في مدركات الشاعر، فهو مكان مجازي لعالم الواقع الذي يحياه، وفي ذلك يقول "غاستون باشلار": "كل ما نوصل للآخرين هو تكييف لما هو خفي وسري، ولكننا لا نستطيع أبدا أن نحكي عن ذلك بموضوعية، ما هو خفي لا يمكن أن يمتلك موضوعية مطلقة"[31]، وهذا يعني أن الحاضر لدى "عمر هيبة" ليس إلا تدحرجا نحو عتبات الماضي، والعودة منه ثانية للإحساس بوقع الحاضر لكن بعباءة الماضي.

3- المكان وعلاقته بالاغتراب لدى الشاعر:

تعتبر التجربة الشعرية لدى "عمر هيبة" أحد الأماكن الخفية التي يلجأ إليها، إنه يبحث فيها عن الاستقرار والأمان كنتيجة حتمية لفقد المكان المأمول. تماما مثلما قال باشلار: "أبحث عن ملجأ في كلمة.."[32] فقد أرهقه البحث عن مكان أليف حميمي، فلجأ إلى أسوار القصيدة، ذلك أن الرؤيا الشعرية "تحلم بعالم **الـــ هنـــاك**، وهو عالم متخيل غير قابل للتحديد، وهو أفق لا يمكن تشكيله إلا بالكلمة"[33]. وما تجدر الإشارة إليه أن الإنسان يستشعر الاغتراب والتمزق الداخلي والآلام النفسية الحادة حينما يجد اضطرابا وتصادما بين المكان-المحيط الذي يعيش فيه وبين آماله وتوقعاته، فبذلك تتوطد العلاقة بشكل كبير بين المكان وبين الزمن الواقع المعاش لحظتها، فكان لابد من استحضار أحد الطرفين حين ذكر الآخر.

إن اغتراب الشاعر "عمر هيبة" يتعلق باستحضار الفضاء المكاني والزماني للمتخيَّل الذي مازال يتعشش داخله، ولم يكن المكان بالنسبة إليه إلا مرجعا في ذاكرته، بحيث يعكس تفاصيل حياته وبيئته. والشاعر يعيش في صراع مع نفسه، إنه يحس بالاغتراب لأنه لم يعد يعايش ذلك المكان الذي افتقده.

- والاغتراب لديه مقترن بالموت غالبا، فالذات الشاعرة "تحاول في صراعها هذا أن تبنيَ عالَما مثاليا، تحاول من خلاله تهديم الحدود الفاصلة بين الحياة والموت حدَّ التلاشي، لتكتسب الذات دلالة مطلقة، يُكتَشَف من خلالها ذلك التقابل بين عناصر الواقع، ومعانقتها مع عالَم الموت"[34].

إذ إن ثنائية الموت والحياة لازالت تلقي بظلالها الحزينة على قلبه. يقول في قصيدة "لن تعود هذه الشمس":

وأَسْوَأُ عُمرِنَا يومًـــا حزينًا نُودِّعُ فِيه أعلامَ الرِّجالِ
ونصنعُ مِنْهُمْ قبرًا حقِيرًا وَنَقبرُ فيهم حُسْنَ الفِعَالِ[35]

ويقول في قصيدة "التلم":

أذرفي يا عينُ دَمْعًا ودَمَـــــا فَمُصَابِي كَانَ حقًّا مُؤْلِـــمَا
اغرُبِي يا شمسُ ولا تغرُبِي إنَّنِي أبكِي غُرُوبَ العُظَمَا[36]

فلقد كان يحس بذاته وهي تتضاءل، إنه الموت الذي يراه ويعايشه من خلال الآخر. لم يعد المكان يغريه بالبقاء وهو في ذلك يشهد رحيل العظماء من رجال دين وأصدقاء، فهم يمثلون له مجدا تليدا وركيزة أساسية بنيت عليها هـذه البلدة، كان يحس في داخله أن جزءا من حضارتها وتاريخها العريق قد دفن معهم.

فالأنا الشاعرة إنما تتجسد في الأنت (الأصدقاء ورجال الدين)، وبرحيل الأنت فإن العلاقة تكـون ارتداديـة، أي موت الأنا، ومن ناحية أخرى فالأنت مرتبطة بالمكان-الوطن، فموتها بالضرورة يشكل موتا للمكان، وهذا ما يضـاعف وقع إحساس الشاعر بالفجيعة.

والشاعر حين استحضاره لهذه الشخصيات الراحلة "يحاول مواجهة اللحظة الراهنـة، وبـذلك يعـري الواقـع، ويكشف ما فيه من زيف عن طريق مقارنته بالماضي، حيث ينسكب الماضي بكل أحداثه علـى اللحظـة الراهنـة"[37]، فيحاور الشخصية ويبكيها وفي قرارة نفسه شعور عميق بعدمية المكان بعد موتها.

إذن فالعلاقة التي تنشأ بين الشاعر وجماعة من الأشخاص ليست مجرد علاقة إنسانية فقـط، بـل هـي علاقـة وجودية، "لأن المكان إذا خلا من الناس يغدو خارطة فارغة لا تبعث على الحياة والتجدد"[38]، فالمكان هو الـذي يصـنع الكينونة والوجود.

- فالاغتراب لدى "عمر هيبة" لم يكن مقترنا بالموت وحده، وإنما كان اغترابا نفسيا وجدانيا أيضا، وربما كـان لـ "شساعة الفضاء المكاني للصحراء وقسوة مناخها ما [ينذره] وينذر سكانها بالتيه والضياع والجدب والقحـط"[39]، ضف لذلك الأحوال النفسية وعدم التوافق مع المحيط العام، يقول الشاعر في قصيدة "الأفول":

هجَرَ الرَّبعَ طُـيُـورَ السَّحَـــرِ
وعَدِمْـنَا اللَّـيْلَ نُورَ القَمَـرِ
والشَّذَى فَارَقَ كُمَّ الزَّهَرِ
والغِنَا جُرِّدَ لَحْنَ الوَتَرِ
وبريقُ العينِ أُعْدِمَ نُورَ البصَرِ[40]

إن الشاعر "عمر هيبة" يدعونا لعالمه الخاص، أين تحضُر لغة المكان وتتنوع لتؤكد لنا أننا أمام فضـاء شـعري خاص به، فهو يستدعي موجودات تماثل وتحاكي عالمه الواقعي: الرَّبع، طيور السّحر، الليل، القمر، الزهـر، ...إلـخ، وبالمقابل فإن كل كلمة ترافقها تجربة شعورية انفعالية تتمثل في: الحزن، اليأس، الألم النفسـي، الإحسـاس بالضـياع، الكآبة، عدم الأمان...، فبذلك "يصبح للمكان ذاكرته الخاصة، وللذاكرة مكانها الخاص، وللزمان ذاكرته ومكانه المتحرك الخاص"[41]. ويقول في قصيدة "تأملات في الشعر والحياة":

مَا الرُّوحُ ما سرُّ التناقضِ ما الهوَى ما الحزنُ ما موتِي وما ميلادِي
ما النُّورُ ما لونُ الضِّـياءِ إذْ بدَا واللَّيل هل في الأفق فيضُ سوَادِ
وإلى متى والشَّمسُ في عَلياتِهَا فِي قِمَّةِ الإشرَاق والإيقَادِ [42]

إن الشاعر موغل في صراعه مع الذات، إنه يطرح إشكالات عميقة تؤزم سلطة الاحتمال لديه، وتبحث في نفس الوقت عن الذات بين زوايا المكان والوجود، فالقصيدة حينما "تصبح مركزا لوجودِ ذاتٍ وباعثا للتأملات فإنها تتحول بذلك إلى أمكنة خفية تنتج عالما بديلا، ووجودا شعريا مستقلا ومفتوحا، وفق أبعاد جمالية تخضع لمنطق الخيال والحلم والتأملات"[43].

والمكان لا يتشكل خارج دائرة الزمن، فهما متداخلان لدرجة لا يمكن الفصل بينهما، إذ إن "اللحظة الزمنية لا تكون بمعزل عن المكان، وهما معا متحركان. فتتشكل علاقة زمكانية يتحول من خلالها المكان إلى زمان، والزمان إلى مكان"[44]. يقول الشاعر في قصيدة "تحية إلى السائرين على الدرب":

نسيرُ علَى الدَّربِ مَهْمَا تَطُولُ الدُّرُوبُ وتَنْأَى الشَّوَارِعْ
نَهيمُ عَلَى الـمَوْجِ مَهْمَا تَعِيثُ الرِّيَّاحُ وَتقْوَى الزَّوَابِعْ
نَسِيرُ عَلَى الشَّوْكِ، نَحمِلُ هَمَّا ونزْرَعُ حَرْفًا وفِعْلاً مُضَارِعْ
نَسيرُ على الدَّربِ مَهْمَا تَعِيثُ القَوَارِع وتَنْأَى الشَّوَاسِعْ[45]

إن ذاتية الشاعر هنا متجذرة بشكل كبير، من خلال الضمير الجمعي الذي تجسد في **(نـــــــــ)** الدالة على المتكلمين، فالشاعر مندمج في وطنه، في أرضه، وفي مكان ميلاده، حتى أضحى لا يرى نفسه إلا من خلال الآخرين (أبناء مجتمعه).

فالفعل المضارع **(نسير)** يدل على الحاضر وعلى استمرارية المعاناة من دون تقطع، كما يحمل دلالة القيام بحدث المسير جماعيا، وفي نفس الوقت تتبدى لنا دلالة الحدث (السير) بشكل أحادي من طرف الشاعر وحده..، من هنا نلمس وجودية الموقف وجماليته، إذ لا يمكن أن تتراءى لنا ذات الشاعر إلا ضمن بوتقة الذات الجماعية. وهو نفس الأمر الذي يتكرر في معظم قصائده.

إذا فالأمر يتعلق بذاتٍ إنسانية شاعرة، تلتقط كل ما يشغلها، كل صغيرة وكبيرة وتحكم عليها -بالتبع- وفق رؤيتها الخاصة، لكن هذا لا يعني أنه نرجسي أو أناني، بقدر ما يمكن تبرير الأمر على أنه صدمة نفسية تلقاها الشاعر وهو في عمق الوطن-الأرض، إنه يسرد اغترابه ومعاناته النفسية في تصويرات شعرية عميقة، فقد استدعى كلا من:

- نسير= دلالة على الحركة والبحث كنتيجة لعدم الإحساس بالأمان.
- تنأى + تطول الدروب= دلالة على بعد المأمول.
- نهيمُ = دلالة على الضياع النفسي.
- الموج + الرياح + الزوابع= دلالة على ركوب الصعاب..
- الشوك= دلالة على الآلام ومحاولة قهرها وتحملها.
- نحمل + نزرع= دلالة على التحدي والمقاومة.
- هـمًّا= تحمل اللفظة دلالة قوية وواضحة على الإحساس الحاد بالاغتراب والألم نتيجة للمسؤولية الملقاة على عاتقهم.

4- المكان كـ ملمح وطني:

الحقيقة أن الشعر القديم لم يكن يعرف الوطن بالمفهوم المركب المتعارف عليه حاليا، فالوطن يتجلى لديهم من خلال الأطلال، الذي هو "شعر في الحنين إلى الوطن والديار، مختلط بالحب والعواطف التي تشهدها هذه الأطلال"[46]، أما الآن وبعد الاستقرار وانتشار المدنية أصبح للوطن بعدا أكبر وأعمق، فالشاعر-الإنسان لم يعد يتصور نفسه دون مرجعية وطنية تمتد إليه جذوره، وينشد فيها أحلامه كما يشكل انتماءه[47]. لذلك فقد وجد الشاعر "عمر هيبة" ملاذا يلتجئ إليه كل مرة، يقول في قصيدة "بلادي":

هُمــومُ بلادِي كَثِقلِ الــجِبَالِ وَمُرُّ الدَّوَاءِ وَكَيِّ الشَّرَرِ
بِلاَدِي سنذْكُرُ فِيكِ التَّفَانِي لِــحفظِ السَّلاَمِ وخَيْرِ البَشَرِ
سَتَنبُتُ أرضُ بلادِي السَّجَايَا ويَحْنُو عَلَى قَدَمَــيْــهَا القَدَر[48]

فالوطن رغم الهموم التي تعتريه والعقبات التي تعترضه إلا أن حب الشاعر له لم يتأثر، فهو يملك قيمة كبيــرة لديــه، حيثُ أورده في سياقه متصلا بياء المتكلم، وهو ما أعطاه بعدا شخصيا يتمثل في ملكية الوطن مقرونا بمشــاعر الحــب والإخلاص له.

وتبلغ أعلى درجات الحب لهذا الوطن حينما يقرن الشاعر "عمر هيبة" أحاسيسه ومشاعره الأصيلة بالفضاء الصحراوي وعناصره التي تقف منتصبة وهي تقاوم قساوة المناخ دونما استسلام، فتصبح الطبيعة الصحراوية مربضًا لذاكرته تسبح فيها بتراكيبها ودلالاتها العميقة. يقول في قصيدة "النخلة":

أتِيهُ مَعَ النَّخلَةِ العالِيَة أُعَانِقُ أجْــوَاءَهَــا الصَّــافِيَه
مَعَ النَّجْمِ يَسْبَحُ عَبْرَ الفضَا مَعَ الــدَّرِ فِي اللَّيلَةِ الوَّاهِيَه
أَيَا نَخْلَةً حَارَ فِــيكِ النُّــهَى وفِــي حِقَبِ الأعْصُرِ الماضِيَه
فَمَا قِصَّةُ الأَرْضِ والغَابِرِينَ وَمَا كَانَ فِي الأَعْصُرِ الخَالِيَه[49]

لقد وظَّف الشاعر "عمر هيبة" النخلة كعنصر من العناصر المنتشرة داخل الفضاء الصحراوي الواسع، فهو يهتم برصد العلامات السيميائية فيه، وبالتالي تصبح النخلة كعلامة جوهرية في تحديد النسق البصــري للبنيــة الصــحراوية القاسية.

فبقدر ما تكون النخلة عالية **(أتيهُ مع النخلة العالية)** بقدر ما تكون جذورها ضاربة في العمق، إنه يريد إثبــات الولاء للأرض-المكان، يريد إعلان التحدي والمقاومة كما عهدت النخلة أن تفعل...، ولم يكتفِ بذلك بل ربطهــا بـــ: **الأعصر الماضية – الخالية – الغابرين**.. في إشارة منه إلى أن النخلة أصيلة ولم تكن وليدة اللحظة أو الأمس.

كما أراد أن يستحضر امتداد الصحراء ورحابتها من خلال: **أتيه – العالية – الصــافية – الــنجم – يســبح – الفضاء – البدر...** وهو الأمر الذي يعكس الفضاء المفتوح على المدى، غير أنه فضاء يتسع في الواقع ويضمحل داخل الذات، وعبر هذا الاضمحلال تمتد الرؤيا الاغترابية تبحث عن ذاتها وسط كل هذا التيه **(أتيه...)**، ومن ثَــمَّ يصــبح الاتساع والامتداد لدى الشاعر وسيلة لاحتواء ذاته التائهة.

ويقول الشاعر في قصيدة "تحية إلى الثامن ماي":

سَلُوا التَّارِيــخَ عَنَّا والزَّمَانَا وَعَنْ أَمْجَادِنَا تَجِــــدُوا البَيَانَا
مَتَى ذَعَــرَتْ لمغتَصِبٍ نُفُوسٌ مَتَى قَبِلَتْ جَــزَائِرُنَا الــهَوَانَا
مَتَى نَامَتْ عُــــيُونُ الشَّعبِ يوْمًا وَقَدْ رَضِيَ الــمَهَانَةَ فَاسْتَكَانَا
وَحِبْرُ الثَّــوْرَةِ الكُبرَى جُرُوحٌ نَصُوغُ الــــجُرْحَ حِبْرًا مِنْ دِمَانَا
وَأَشْلاَءُ الشَّهِــيدُ حُرُوفُ حرْبٍ صَــحَائِفُهَا أَدِيمٌ مِنْ ثَرَانَا[50]

إن فكرة الوطن-الأرض تخرج عن محليتها وجزئيتها لتتحول إلى الوطن الكلي- الجزائر، الــذي يجمــع كــل الأنحاء والمقاطعات في مكان واحد، وما يؤكد الفكرة أكثر هو توظيفه للضمير **(نـــــا)** من خلال:

عنَّا – أمجادنا – جزائرنا – دمانا – ثرانا..، فالشاعر مندمج في الوطن، يستشعر وقع الآلام والمعانــاة التــي رزح تحتها الشعب الجزائري، لذلك نراه يجعل مصلحة الـــ **نحن** فوق كل المصالح.

ويتسع إحساس الشاعر "عمر هيبة" بالانتماء ليتجاوز الوطن الأم ويشمل كل الدول العربية الإسلامية، فهـا هـو يقول في قصيدة "الفلسطيني":

لَيْسَ لِي قَصْرٌ ومَا بَـيْتُ أبِي غَـيْرَ كُوخٍ سَقْفُهُ مِنْ حَطَبِ
غَيْرَ كُوخٍ بَابُهُ مِنْ حَطَبِ لَيْسَ لي شَمْعٌ لِمِيلادِ نَبِي
لاَ وَلاَ أغنِـيَّـةٌ للطَّرَبِ كُلُّ مَا آكُلُهُ لُقْمَةٌ مِنْ سَغَبِ
كُلُّ مَا أَلْبَسُهُ بُرْدَةٌ مِنْ تَعَبِ
غَـيْـرَ أنَّ الشَّمْعَ مِـثْلي تَذْرِفُ الدَّمْعَ لِأَجْلِ أنَّني أحمِلُ ثِقلِي
فَوْقَ شَـوْكٍ، فَوْقَ وَحْلٍ، فَكِلاَنَا رَمْزُ لَيْلٍ طَالَ في هَمٍّ وَوَيْلِ
وَكِلاَنَا رَمْزُ جَهْـلٍ يَـعْـتَـرِينَا طَيْفُ قَتْلٍ فَذُبِحْنَا ذَبْحَ عِجْلِ[51]

إن "عمر هيبة" يتناص بشكل لافت مع الشاعر الفلسطيني "محمود درويش"، وبالضبط في قصيدته "يوميات جرح فلسطين". بحيث إنه يتمثَّل نفسه كأي فرد من أفراد الشعب الفلسطيني، يعيش فوق وطن محتل، علـى وقـع الحرمـان والشتات، فأسند ضمير المتكلم إلى نفسه مباشرة من دون واسطة، وأنشأ يروي اغترابه ومعاناته.

إن تتبعنا لمعاني الأبيات يجعلنا نتساءل عن علاقة البيت بالقضية الفلسطينية؟ الحقيقة أن الشاعر اختزل الـوطن بمفهومه الواسع في مفردة البيت، فهو الحلم المأمول وهو مصدر الأمن والأمان. لذلك "عندما يعبر عن فقده لبيته إنمـا يعبر عن فقدانه لوطنه، ويصبح البحث عن البيت هو بحث عن الوطن في أجلِّ معانيه"[52]، فالبيت مصدر للألفة والأمان النفسي مثلما يقول غاستون باشلار: "البيتُ هو رُكننا في العالم، كوننا الأول كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى.."[53].

ويربط الشاعر بين الوطن-فلسطين وبين تمزقه الداخلي، فانتفاء البيت يجعله في إطار **اللاحياة**، إنه يرزح فـوق الشوك والعذاب ويذوب مثل الشمع، ويحمل همه في ليل طويل، وفي الأخير لا يلقى سوى الموت بذبح..

ويسترسِلُ الشاعر "عمر هيبة" في يأسٍ وهو يبكي أحوال فلسطين، ويتوجَّـع مـمَّا آلت إليه الأوضاع. إنـه لم يعد يستشعر كينونته ووجوديته مادامت الأرض مسلوبة وشعبها تحت القهر والذل. يقول في قصيدة "علـى توقيـت القدس":

زَمَانُ القُدْسِ أوجاعِي وهَمِّي وَيَـوْمُ القُدْسِ جُرْحٌ ظَلَّ يُدْمِي
ألاَ فَايْقِظْ ضَمِيرَكَ يَا بْنَ أُمِّي وَقَاسِـمْنِي مُكَابَدَتِي وَغَمِّي
وَخُذْ بِيَدِي فَإِنَّ الذُّلَّ عَيْـبٌ لِأُمَّتِنَا وَفِـي مَرْآكَ شُؤْمِـي
وَمِلَّتُنَا صَرِيحُ القَـوْلِ فِيهَا يُنَادِيهَا الـجِهَاد لِرَفْعِ ظُلْمِ[54]

حينما ينتصب الذل والهوان في كامل الأرجاء يحترف الشاعر "عمر هيبة" المقاومة باستبسال، فهو يـرى فـي فلسطين-الأرض جرحا غائرا يسبب له المزيد من الأوجاع والهموم، لذلك نراه يلبس عباءة خطيب حماسي ينفخ الروح في الناس علهم يستيقظون من سباتهم الطويل. وربما ولَّد هذا في ذات الشاعر شعورا مأساويا أقرب مـا يكـون إلـى الوحدة الأليمة، إنه يرى الخلق كلهم تخلوا عن هذا الوطن في لحظة ضعف، لذلك تسـرب إليـه الحـزن والإحسـاس بالاغتراب...، فالأرض أرضه والوطن وطنه، إنه لا يريد أن يخسر المزيد مما تبقى منه، فهو يمـد يديـه مسـتنجدا، ويصيح بأعلى صوته أنْ لا تتخلوا عن أرضي وأرضكم.

خلاصة:

بناءً على ما تقدم يمكننا القول إن مصطلح "المكان" عرف اتساعا وتشعبا لدى الدارسين خلال اشتغالهم عليه، وربما كان الاختلاف والتعدد أمرا طبيعيا نتيجة لانفتاح الدراسات النقدية واستفادتها من العلوم الإنسانية خاصة الفلسفة وعلم النفس والاجتماع، فظهرت إلى السطح مصطلحات: الحيز، الفضاء، المحيط، الفراغ، البيئة...إلخ. وقد يكون الاختلاف طفيفا بين الدارسين في تحديد الفوارق بين كل مصطلح وآخر، لكنهم في الأخير يصرحون بصوت واحد إن المكان مشتق من الكينونة والوجود الإنساني، وبذلك يتجاوز معناه التقليدي المقتصر على مجرد مكان جغرافي.

إذا فالمكان يمثل عنصرا رئيسيا في بناء القصيدة لدى الشاعر "عمر هيبة"، لذلك فقد ارتبط بمصيره ووجوده، إذ لا وجود له خارج المكان، ولا مكان له خارج وجوده. وهو ما يتجلى بصورة واضحة في الحضور القوي لسلطة المكان مصطبغة برمزية "النحن"، فمن خلاله تُستعاد ذاكرة المكان وتأخذ الفضاءات كينونتها عبر إعادة إنتاجها من خلال اللغة الشعرية. وبهذا التصور يتحول النص إلى مكان تمارس فيه ذات الشاعر وجودها.

فقد استطاع المكان عند "عمر هيبة" أن يكتسب هويته من صدق المشاعر وعمق الاغتراب الذاتي، كما أثر فيه المكان فأكسبه هويته الخاصة. لذلك جاء معبرا عن تجربة إنسانية خالدة للمجتمع الذي يحيا فيه. فهو يحتمي بالمقدَّس ويتَّكئ على الماضي خاصة حينما تعتريه الوحشة ومشاعر الخوف والتيه واليأس، ليعيد إلى نفسه الأمل ويبعث فيها شعور الانتماء للمكان-الوطن من جديد.

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر:

- عمر بن باحمد هيبة: الديوان الشعري قلب وحجر، ط1، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2005.

المراجع:

1- جمال الدين خضور: قمصان الزمن. فضاءات حراك الزمن في النص الشعري العربي، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

2- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1979.

3- حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية، د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001.

4- شربيط أحمد شربيط: دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث، د.ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2003.

5- صلاح فضل: تحولات الشعرية العربية، ط1، دار الآداب، لبنان، 2002.

6- عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، ط1، دار هومة، الجزائر، 2003.

7عبد الرحمان بدوي: الموسوعة الفلسفية، ط1، المؤسسة العربية للنشر والدراسات، بيروت، لبنان، ج2، 1985.

8- عبد الوهاب بوقرين: ثورة اللغة الشعرية، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2004.

9- علي عبد المعطي: قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، د.ط، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، ج2، د.ت.

10- عمر أزراج: الحضور (مقالات في الأدب والحياة)، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، 1983.

11- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1984.

12- غاستون باشلار: شاعرية أحلام اليقظة، ترجمة جورج أسعد، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1993.

13- فريد جحا: الحنين إلى الوطن في شعر المهجر، ط1، المطبعة العربية، حلب، سوريا، د.ت.

14- قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، د.ط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001.
15- محبوبة محمدي محمد آبادي: جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، د.ط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.
16- محمد إسماعيل قباري: علم الاجتماع والفلسفة، ط1، دار الطلبة، بيروت، لبنان، ج2، 1968.
17- محمد جبريل: مصر المكان دراسة في القصة والرواية، ط2، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 2000.
18- محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984.
19- محمد علي أبو زيان وحربي عباس عطيبو: دراسات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1979.
20- محمد مفتاح: تحليل الحطاب الشعري استراتيجية التناص، ط3، المركز الثقافي العربي، 1992.
21- المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق، ط22، بيروت، لبنان، 1975.
22- ياسين النصير: إشكالية المكان في النص الأدبي، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1986.

الرسائل الجامعية:

الماجستير:

1- خالد حسين: شعرية المكان في الرواية الجديدة (رسالة ماجستير)، جامعة دمشق، سوريا، 1999.
2- عيسى سلمان درويش: الموت في شعر السياب ونازك الملائكة دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة بابل، العراق، 2003.

الدكتوراه:

1- جمال مجناح: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر، 2008.
2- محمد الصالح خرفي: جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2006.

المجلات:

1- اعتدال عثمان: جماليات المكان، مجلة الأقلام، العدد2، العراق، 1986.
2- محمد أبو حميدة: جماليات المكان عند الشاعر محمود درويش، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، فلسطين، مجلد22، 2008.
3- نسيمة علوي: دلالة المكان في رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني، مقال منشور، جامعة سكيكدة، د.ت.

المراجع باللغة الفرنسية:

1- Henri lefebvre : La production de l’espace, Antropos, Paris
2- Sophie Guermès : la poésie moderne, essai sur le lieu caché, page183

[1] - محمد جبريل: مصر المكان دراسة في القصة والرواية، ط2، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 2000، ص9.

[2] - المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق، ط22، بيروت، لبنان، 1975، ص771.

[3] - انظر: عبد الرحمان بدوي: الموسوعة الفلسفية، ط1، المؤسسة العربية للنشر والدراسات، بيروت، لبنان، ج2، 1985.

[4] - محمد علي أبو زيان وحربي عباس عطيبو: دراسات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1979.

[5] - انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1979، ص 412.

[6] - المرجع نفسه، ص 413.

[7]- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1984، ص39.

[8]- انظر: علي عبد المعطي: قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، د.ط، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، ج2، د.ت، ص127.

[9]- انظر: محمد إسماعيل قباري: علم الاجتماع والفلسفة، ط1، دار الطلبة، بيروت، لبنان، ج2، 1968، ص45.

[10]- قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، د.ط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001، ص256.

[11]- انظر: Henri lefebvre : La production de l'espace, Antropos, Paris, p46

[12]- ارتبط الشعر في العصر الجاهلي وحتى بعده بالمكان، خاصة في المقدمة الطللية التي تعتمد بالدرجة الأولى على استدعاء المكان والبكاء عليه.

[13]- عبد الوهاب بوقرين: ثورة اللغة الشعرية، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2004، ص13.

[14]- انظر: شربيط أحمد شربيط: دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث، د.ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2003، ص62.

[15]- عمر بن باحمد هيبة: الديوان الشعري قلب وحجر، ط1، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2005، ص3،4.

[16]- المصدر نفسه، ص120.

[17]- نفسه، ص16.

[18]- نفسه، ص17.

[19]- عمر أزراج: الحضور (مقالات في الأدب والحياة)، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، الجزائر، 1983، ص49.

[20]- عمر هيبة: المصدر السابق، ص164.

[21]- انظر: محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984، ص41.

[22]- عمر هيبة: المصدر السابق، ص18.

[23]- محمد مفتاح: تحليل الحطاب الشعري استراتيجية التناص، ط3، المركز الثقافي العربي، 1992، ص58.

[24]- حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية، د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001، ص82.

[25]- عمر هيبة: المصدر السابق، ص158.

[26]- انظر: اعتدال عثمان: جماليات المكان، مجلة الأقلام، العدد2، العراق، 1986، ص94.

[27]- ياسين النصير: إشكالية المكان في النص الأدبي، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1986، ص8.

[28]- محبوبة محمدي محمد آبادي: جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، د.ط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص130.

[29]- عمر هيبة: المصدر السابق، ص ص48،49.

[30]- انظر: خالد حسين: شعرية المكان في الرواية الجديدة (رسالة ماجستير)، جامعة دمشق، سوريا، 1999، ص85.

[31]- غاستون باشلار: جماليات المكان، ص6.

[32]- غاستون باشلار: شاعرية أحلام اليقظة، ترجمة جورج أسعد، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1993، ص46.

[33]- Sophie Guermès : la poésie moderne, essai sur le lieu caché, page183

[34]- عيسى سلمان درويش: الموت في شعر السياب ونازك الملائكة دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة بابل، العراق، 2003، ص16.

[35]- عمر هيبة: المصدر السابق، ص92.

[36]- نفس المصدر، ص118.

[37]- عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، ط1، دار هومة، الجزائر، 2003، ص41.

[38]- محمد أبو حميدة: جماليات المكان عند الشاعر محمود درويش، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، فلسطين، مجلد22، 2008، ص470.

[39]- نسيمة علوي: دلالة المكان في رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني، مقال منشور، جامعة سكيكدة، د.ت، ص7.

[40]- عمر هيبة: المصدر السابق، ص ص67،68.

[41]- جمال الدين خضور: قمصان الزمن. فضاءات حراك الزمن في النص الشعري العربي، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص126.

[42]- عمر هيبة: المصدر السابق، ص ص5،6.

[43]- جمال مجناح: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، الجزائر، 2008، ص463.

[44]- محمد الصالح خرفي: جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2006، ص113.

[45]- عمر هيبة: المصدر السابق، ص ص109،110.

[46]- فريد جحا: الحنين إلى الوطن في شعر المهجر، ط1، المطبعة العربية، حلب، سوريا، د.ت، ص8.

[47]- انظر: صلاح فضل: تحولات الشعرية العربية، ط1، دار الآداب، لبنان، 2002، ص55.

[48]- عمر هيبة: المصدر السابق، ص ص131،132.

[49]- نفس المصدر، ص136.

[50]- نفسه، ص150.

[51]- نفسه، ص180.

[52]- محمد أبو حميدة: جماليات المكان في شعر محمود درويش، ص477.

[53]- غاستون باشلار: جماليات المكان، ص36.

[54]- عمر هيبة: المصدر السابق، ص193.